معاملة الجيران

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين، وبعد:

فإن أكثر من يتعامل معهم الإنسان هم الذين يجاورونه في السكنى والذين يجاورونه في العمل والذين يجاورونه في دور العلم ودور العبادة إلى آخر أماكن التلاقي بين الناس، بيد أن فريقاً من هؤلاء هم أكثر ما نحتك بهم، ونتعامل معهم، ألا وهم الجيران في السكنى، لذلك خصهم الإسلام بمزيد من العناية وحرص على أن يكون التعامل معهم له من الأهمية ما يناسب طول الحياة معهم. فجعل لهم من الحقوق ما لم يجعله لغيرهم ممن نحتك بهم ونتعامل معهم.

إن حقوق الجار على جاره كثيرة، والأمر بإكرام الجار والإحسان إليه ورد في عديد من الأحاديث النبوية، والعديد من آيات الكتاب الكريم، فقد قرن بين من يجب الإحسان إليهم فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[النساء:٣٦]. فقد أمر الله تعالى بالإحسان إلى الجار القريب وإلى الجار البعيد، وتكرر ذلك في الكتاب الكريم، وجاءت السنة المطهرة لتوضح المقصود من الإحسان إلى الجار وتوضح حقوقه فقال رسول الله ﷺ «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» كما قال: «أَحْسِنْ مُجَاوِرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا» وقال عن المرأة التي تصوم النهار وتقوم الليل، لكنها تؤذي جيرانها بلسانها قال: «هِيَ فِي النَّارِ» فلم يغن عنها قيام الليل ولا صوم النهار إذ كانت تسيء إلى جيرانها وتؤذيهم بالقول. وجعل ﷺ من أسباب السعادة في الدنيا، المسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهني.

وحق الجار غير مقضي بكف الأذى عنه فحسب، لكن فوق ذلك يجب احتمال الأذى منه، وعدم الإساءة إليه إن أساء، بل ينصحه ويبصره بما يجب عليه لجاره، وفوق ذلك أيضاً إيصال الخير إليه، وتفقد أحواله وإعانته إن احتاج إلى معونة. وقد فصل سيدنا رسول الله ﷺ حق الجار فقال: «**أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟ إِنِ اسْتَعَانَ بِكَ أَعَنْتَهُ، وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِنِ افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِنِ مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِنْ مَاتَ اتَّبَعْتَ جَنَازَتَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَلَا تَسْتَطِلْ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ، فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهِ وَلَدَهُ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقُتَارِ قِدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا**»، ثم قال: «**أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَبْلُغُ حَقَّ الْجَارِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ**». بل هناك حقوق أكثر من ذلك وردت في الشريعة الإسلامية للجار، منها أن له حقاً في دارك إذا أردت بيعها، فهو يقدم على كل مشتر آخر، ومنها أن من حقه أن يستفيد من بعض إمكانات دار جاره، حيث يقول النبي ﷺ: «**لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَضَعَ خَشَبَةً عَلَى جِدَارِهِ**»، إلى غير ذلك من الحقوق في حياته وبعد مماته.

إن من عظمة الإسلام وسعيه لتكون الحياة طيبة والعلاقات بين أفراد المجتمع وطيدة، أنه لم يجعل هذه الحقوق واجبة بين المسلمين فقط، وإنما هي حقوق واجبة لكل من يجاورك وإن لم يكن من المسلمين. نعم تزيد الحقوق إذا كان جارك من أقاربك، أو كان قريباً مسلماً، لكن يبقى للجار حق وإن كان غير مسلم، فقد قال ﷺ: «**الْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ: جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ وَهُوَ أَدْنَى الْجِيرَانِ حَقًّا، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ وَهُوَ أَفْضَلُ الْجِيرَانِ حَقًّا، فَأَمَّا الْجَارُ الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَالْجَارُ الْمُشْرِكُ لَا رَحِمَ لَهُ وَلَهُ حَقُّ الْجِوَارِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ لَا رَحِمَ لَهُ، وَلَهُ حَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الْجِوَارِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ فَجَارٌ مُسْلِمٌ ذُو رَحِمٍ لَهُ حَقُّ الْإِسْلَامِ**

وَحَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الرَّحِمِ وَأَدْنَى حَقِّ الْجِوَارِ أَنْ لَا تُؤْذِيَ جَارَكَ بِقُتَارِ قِدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَقْدَحَ لَهُ مِنْهَا». ولو تمعنا النظر في هذا الحديث لرأينا حق الجوار يستوي فيه المسلم القريب وغير القريب وغير المسلم، فكل له حق الجوار، وما سواه فهي حقوق أخرى بعيدة عن قضيتنا وهي حق الجوار الذي جعله الإسلام لكل جار مسلم أو غير مسلم.

ولنا أن نتساءل: هل المقصود بالجار من يلاصق بيتك أم أن دائرة الجوار أوسع من ذلك؟

لقد روى الزهري أن رجلاً جاء يشكو جاره، فأمره النبي ﷺ أن ينادى على باب المسجد: «**أَلَا إِنَّ أَرْبَعِينَ دَارًا جَارٌ**». فليس الجار صاحب الحقوق هو الجار الملاصق، بل يتعدى العدد إلى أربعين من كل جهة، وبهذا يكون الكل جاراً للكل، حتى لتكون المنطقة كلها جيران بعضها لبعض. نعم إن الجار الملاصق أولى بالرعاية من الجار البعيد، والجار الذي يواجهك بباب بيته أولى من الجار الذي يستدبرك، ويكون بابه في شارع آخر مثلاً. لكنهم كلهم جيران لهم حقوق عليك، ولك عليهم نفس الحقوق، يؤكد ذلك أن أهل الساحة جميعاً إذا أصبح فيهم امرؤ جائعاً تبرأ منهم ذمة الله ورسوله.

ولكن لماذا التأكيد الشديد على حق الجار؟ هل لذلك أهداف يقصدها الإسلام وآثار تترتب على ذلك؟

لقد كان النبي ﷺ دائم التأكيد على حق الجار حتى لقد ظن الصحابة أن الإسلام سيجعل للجار نصيباً من تركة المسلم. إن الهدف من ذلك هو تقوية بناء الأمة، وجعلها كما قال النبي صلوات الله وسلامه عليه، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، حتى يكفل غنيهم فقيرهم، ويرعى قادرهم ضعيفهم. ولقد بلغ التأكيد على حقوق الجار أن نفى النبي ﷺ الإيمان، عمن يبيت شبعاناً وجاره إلى جواره

جائع وهو يعلم، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله. وحتى ليقول ﷺ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» كل هذا يوضح مسئولية الفرد عن الجماعة، ومسئولية الجماعة عن الفرد، فى تشابك تام وتلاحم كامل حتى ليصير الناس في المجتمع كأنهم جسد واحد، يألم بعضه لألم البعض الآخر. قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

وبمقدار ما يرى الجيران في الشخص من إحسان يكون محسناً، وبمقدار ما يرون فيه من سوء يكون مسيئاً، وقد سأل سائل يريد أن يعرف إن كان حسن الجيرة أم مسيئها، فأجابه النبي صلوات الله وسلامه عليه قائلاً: إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت. وعلى ذلك فهم شهداء عليك، يحكمون عليك بحسن الجيرة أو بغير ذلك، فمن المهم الحرص التام على الإحسان إلى الجيران، ورعاية مصالحهم، بل وإيثارهم على النفس فهذا من أخلاق الإسلام.

هذا والله الموفق